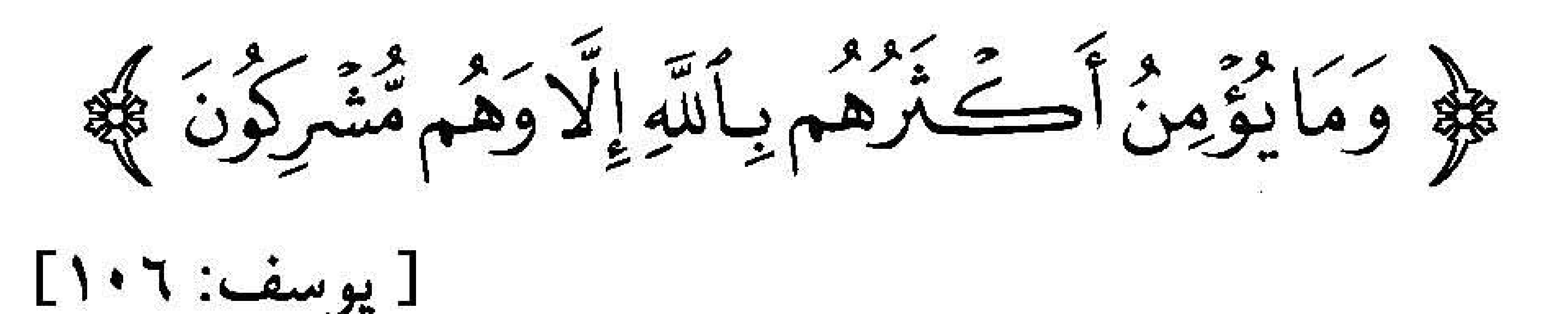
إيمان المشركين وتصديقهم بالله في ضوء قوله تعالى:



[يوسف: ١٠٦]

دراسة عقدية

إعداد: د. فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد
عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين-الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا بحث مختصر في دراسة لمعنى قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

أحببت المشاركة في جمع ما ذكره أهل العلم حول هذه الآية لمسيس الحاجة إلى بيان ما فيها من تقرير التوحيد وأنواعه، والرد على المشركين والرد على من يجعل الغاية في التوحيد هو الإقرار بالربوبية.

وأسأل الله تعالى أن يوفقني لما يحبه ويرضاه وأن ينفع بهذا البحث ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- الحاجة إلى تأصيل معنى التوحيد ومعنى الشرك في ضوء الأدلة الشرعية،

٢- أهمية بيان حقيقة شرك المشركين الذي يتكرر وجوده في كل زمان ومكان خصوصاً في الأزمان المتأخرة والأماكن البعيدة عن العلم والإيمان.

٣- انتشار دعوى أن الشرك إنما يكون بإنكار وجود الخالق أو إنكار ربوبيته، ودعوى أن صرف العبادة لغير الله ليس شركاً.

مما يستدعي بيان الحق في هذا الأمر، وإيضاح دلالات النصوص الشرعية.

٤- أهمية الوقوف على كلام أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن سلك منهاجهم من التابعين وأتباعهم وأئمة أهل العلم والسنة وكبار المصنفين في التفسير والعقيدة ليتضح لكل مُنصف الحق الذي يجب اعتقاده.

هدف الموضوع:

دراسة معنى قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، دراسة عقدية وجمع كلام أهل العلم حول معناها، وبيان المراد بإيمان المشركين.

الدراسات السابقة:

لم أقف على من خصص هذه الآية بدراسة مستقلة.

خطة الموضوع:

وقد جعلت البحث مكوناً من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره وهدفه وخطة البحث والدراسات السابقة ومنهج البحث.

المبحث الأول: أحوال العرب الدينية قبل البعثة وبداية ظهور الشرك.

المبحث الثاني: دلالات الآيات القرآنية على بيان معنى إيمان المشركين وشركهم في الآية.

المبحث الثالث: دلالات الأحاديث النبوية عن حال المشركين وإقرارهم بالربوبية.

المبحث الرابع: ذكر كلام المفسرين وأهل العلم في بيان معنى إيمان المشركين وشركهم في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾.

المبحث الخامس: تقريرات أئمة الإسلام والسنة في بيان إقرار المشركين بالربوبية، وشركهم في الألوهية.

المبحث السادس: عدم الاغترار بالكثرة والزهد في القلة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

منهج البحث:

سأسلك في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي وفق الآتي:

١- جمع النصوص الواردة من الكتاب والسنة الموضحة لمعنى إيمان المشركين وحقيقة شركهم.

٢- دراسة الآية الكريمة: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ دراسة عقدية.

٣- جمع كلام العلماء من الصحابة ومن جاء بعدهم في شرح وبيان مدلول هذه الآية الكريمة.

٤- ذكر نماذج من كلام أهل العلم في تحقيق معنى الألوهية، وبيان خطأ المتكلمين في هذه المسألة.

٥- عزو الآيات إلى سورها.

٦- تخريج الأحاديث من كتب السنة النبوية.

٧- توثيق النقول والأقوال.

المبحث الأول:

أحوال العرب الدينية قبل البعثة وبداية ظهور الشرك

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العرب كانوا على شريعة إبراهيم عليه السلام قبل ظهور عمرو لحي الخزاعي.

المطلب الثاني: ابتداء عبادة الأصنام.

المطلب الثالث: مظاهر الشرك عند العرب قبل البعثة المحمدية.

المبحث الأول: أحوال العرب الدينية قبل البعثة وبداية ظهور الشرك

المطلب الأول: العرب كانوا على شريعة إبراهيم عليه السلام قبل ظهور عمرو بن لحي الخزاعي

كان العرب قبل ظهور عمرو بن لُحَيّ الخزاعي يتقربون إلى الله ويتعبدون بشريعة إبراهيم عليه السلام، وقد تلقوها من ابنه إسماعيل عليه السلام، وهي الحنيفية التي جاء بها النبي ﷺ ودعا إليها.

فكانوا يعتقدون أن الله وحده لا شريك له، وكانوا يصلون ويصومون ويحجون ويزكون ويصلون الأرحام ويكرمون الأضياف.

وهذه أمور مشهورة في كتب السنة والسير والتاريخ.

فلما طال الأمد، وبعدوا عن زمن النبوة، كثر فيهم الجهل، وقلت معرفتهم بالحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، وجروا على شهوات أنفسهم، واتبعوا الآراء الفاسدة والمقالات الضالة حتى افترقت كلمتهم، لا سيما بعد أن ظهر فيهم عمرو بن لُحَيّ الخزاعي.

قال هشام بن محمد الكلبي في بيان ما عليه العرب قبل ظهور عمرو بن لحي الخزاعي: «إن إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما - لما سكن مكة وولد له بها أبناء كثير، حتى ملأوا مكة نفوا من كان بها من العماليق[1] ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً، فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش.

وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن بمكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، وصبابة بمكة، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمّناً منهم بها، وصبابة بالحرم، وحبّاً له، وهم بعدُ يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما

---

(١) هم بنو عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وهم أمم تفرقوا في البلاد، انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٧١).

السلام[٢]، ثم سَلَخَ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استَحبُّوا، وَنسُوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيرَه، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم، وانْتَجثُوا[٣] ما كان يَعْبُد قوُم نوح – عليه السلام – منها، على إرث ما بقيَ فيهم من ذكرها، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسكون بها، من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمْرة والوقوف على عَرَفَةَ ومُزْدَلفَةَ وإهداء البُدْن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم ما ليس فيه منه[٤].

فكانت نزِار تقول إذا ما أهلَّتْ:

«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك».

ويوحدونه بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم، ويجعلون مِلْكَها بيده، يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ ، أي ما يُوَحدُونَني بمعرفة حقّي إلا جعلوا معي شَريكاً من خَلْقُي..»[٥].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «وكان أهل الجاهلية على ذلك فيهم بقايا من دين إبراهيم، مثل: تعظيم البيت والطواف به»[٦].

فهذه لمحة موجزة عن أحوال العرب قبل الإسلام، وعباداتهم التي أشركوا فيها، وما كانوا عليه من بقايا دين إبراهيم عليه السلام التي حرّفوها وابتدعوا فيها.

(٢) سيرة ابن هشام، ١/٨، وانظر: أخبار مكة (١/ ٥١٦-١٦٥)، البداية والنهاية (٢/ ١٨٨).

(٣) أي استخرجوا ؛ فالانتجاث: الاستخراج ؛ كما في القاموس المحيط مادة (نجث) ص ٢٢٦.

(٤) ويُنظّر: أخبار مكة للأزرقي (٥/ ١٦١) وما بعدها.

(٥) انظر: كتاب الأصنام ص ٥٤، وانظر: سيرة ابن هشام، (١/ ٨٠)، والروض الأنف (١/ ١٦٧).

(٦) مختصر سيرة الرسول، ص ٧٠ – ٧١ .

المطلب الثاني: ابتداء عبادة الأصنام عند العرب

إن أعظم مكايد الشيطان ما نصبه للناس من الأنصاب والأزلام، والأنصاب هي: كل ما نُصب مما يُعْبَدُ من دون الله من حجر أو شجر أو وثن؟ وقد أمر الله بإخلاص الدين له ونهي عن الشرك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [المائدة: ٣].

أما ابتداء عبادة الأصنام عند العرب فقد تقدم أن العرب كانوا على دين إبراهيم فلما طال الأمد وبعدوا عن زمن النبوة كثر فيهم الجهل، واتبعوا كل ناعق، فظهر فيهم عمرو بن لحي الخزاعي، ودعا إلى عبادة الأصنام.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، فكان أول من سيّب السوائب»[٧]، وفي لفظ «وغيَّر دين إبراهيم»، وفي لفظ عند ابن إسحاق: «فكان أول من غير دين إبراهيم ونصب الأوثان»[٨].

أما تفصيل كيفية بداية عبادة الأصنام عند العرب فهو ما ذكره المؤرخون: أنه لما كثر أولاد إسماعيل بمكة حتى ملؤوها، ونفوا من كان فيها من العماليق، فضاقت عليهم فوقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً، فساحوا في البلاد لالتماس المعاش، فكان أحدهم إذا أراد أن يظعن من مكة احتمل حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيث ما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة صبابة بها وحباً، وهم مع ذلك على بقايا دين أبيهم إسماعيل تعظيماً للكعبة والحج والاعتمار

---

(٧) البخاري، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة رقم (٣٣٣٣) ، ومسلم (٧٣٧١)، كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون رقم (٧٣٧١).

(٨) السيرة لابن هشام (١/٧٦).

والصدقة.

وذكر أهل السير أن غُبشان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر، واستمروا على ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة، وقيل خمسمائة سنة، وكانوا مشؤومين في ولايتهم، وذلك لأن زمانهم كان أول عبادة الأوثان بالحجاز، وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لحي فإنه أول من دعاهم إلى ذلك.

وكان غنياً تاجراً، وقوله وفعله فيهم: كالشرع المتّبع لشرفه فيهم، ومحلته عندهم، وكرمه عليهم.

وقد تابعوه على ابتداعه وإتيانه بالشرك وتبديله ما بعث الله به إبراهيم الخليل وغيّر شعائر الحج ومعالم الدين[٩].

قال عدد من المؤرخين ومنهم هشام بن محمد الكلبي: «وكان أول من غير دين إسماعيل عليه السلام فنصب الأوثان وسيّب السائبة ووصل الوصيلة وبحّر البحيرة وحمى الحامية عمرو بن ربيعة وهو لحيّ..»[١٠]، وذكروا سبب ذلك وهو أنه مرض مرضاً شديداً فقيل له إن بالبلقاء من الشام حِمّة إن أتيتها برأت.

ثم إن عمرو بن لحي ذهب إلى البلقاء[١١]، فأتى تلك العين الحارة هناك يستشفي بها المرضى، فأتاها فاستحم بها، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال: ما هذه؟ فقالوا: نستقي بها المطر، ونستنصر بها على العدو. فسألهم أن يعطوه منها، ففعلوا، فقدم بها إلى مكة ونصبها حول الكعبة، ومن ذلك الحين فشت فيهم عبادة الأصنام، وتجاوزتهم إلى غيرهم من العرب.

والمقصود أنه فشا فيهم هذا الشرك والتعلق بغير الله حتى صار الأكثر منهم على

---

(٩) السيرة لابن كثير (١/ ٦٨)، وانظر: أخبار مكة للفاكهي (٥/ ١٥٨ - ١٦٢).

(١٠) كتاب الأصنام، ص (٢٤).

(١١) البلقاء: هي إقليم في أرض الشام في الأردن، وتشمل عمّان وعدة مدن أخرى، انظر: معجم البلدان (١/ ٢٠٤).

الشرك فجعلوا عباداتهم لهذه الآلهة التي اتخذوها، وتقربهم إليها مع ما يتقربون به إلى الله، وصرفوا العبادات لها من الذبح والنذر والدعاء والتعظيم والتقرب بالسجود والركوع والحلف بها وغير ذلك، كل هذا مع إقرارهم بالخالق الرازق المحي المميت النافع الضار(١٢)، فأقروا بالربوبية وأشركوا في الألوهية بشبهة أنهم ليس لهم أهلية تامة أن يعبدوا الله وحده بلا واسطة وقد حكى الله عنهم ذلك، قال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. فهم اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم بعباداتهم ودعائهم معتذرين عن أنفسهم بقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾. أيّ لترفع حوائجنا إلى الله وتشفع لنا عنده وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تملك من الأمر شيئاً أو اتخذوا هذه المعبودات من دون الله بشبهة أنها سوف تشفع لهم عند الله وتنقذهم من المهالك ومن العقوبة. فالمشركون تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجرؤوا على هذه الشركيات والخرافات، وقاسوا بعقولهم الفاسدة الرب على المخلوقين من الملوك الذين لا يتوصل إليهم إلا بالشفعاء والوجهاء وهذا القياس من أفسد الأقيسة؛ إذ هو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق(١٣)، واستمر العرب على ذلك إلى زمن النبي ﷺ، ولما بعث النبي ﷺ أمره الله بدعوتهم إلى إخلاص العبادة له والإيمان به وبرسوله وكتابه.

وأما قبل العرب فأصل حدوث الشرك كان في قوم نوح كما ذكر المفسرون والأئمة، ومنهم ابن جرير وابن كثير وغيرهم، كما سيأتي ذكر ذلك.

قال ابن كثير: «وقد أضلوا كثيراً بين الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها كثيراً فإنه قد استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صفوف بني آدم»(١٤).

---

(١٢) العقائد السلفية، لأحمد بن حجر آل بو طامي، ص (١٤-١٥).

(١٣) انظر: تفسير السعدي، ص ٦٨٥، وانظر إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/٢٠٦-٢٢١).

(١٤) تفسير ابن كثير (٨/٢٦٣).

قال القرطبي في سياق استدلاله لقاعدة سد الذرائع عند قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤] بعد إيراده لأحاديث منع اتخاذ القبور مساجد، قال: «قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك، وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك..»(١٥).

قال ابن حجر: «وقال بعض الشرّاح: محصّل ما قيل في هذه الأصنام قولان: أحدهما: أنها كانت في قوم نوح، والثاني: أنها كانت أسماء رجال صالحين.. إلخ القصة، قلت: بل مرجع ذلك إلى قول واحد، وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام، ثم تبعهم من بعدهم على ذلك»(١٦).

---

(١٥) الجامع لأحكام القرآن: (٢/ ٤٠-٤١).

(١٦) فتح الباري (٨/ ٦٦٩).

المطلب الثالث: مظاهر الشرك عند العرب قبل البعثة

تعددت مظاهر الشرك عند العرب قبل بعثة النبي ﷺ، وأكثرهم كانوا يدينون بعبادة الأصنام وتلاعب بهم الشيطان، وتفرقوا في ظلمات الشرك على أنواع متعددة:

أولاً: عبادة الأصنام:

وأصلها عبادة الأنبياء والصالحين والـمُعَظّمين تقدم ذكر كيفية عبادة الأصنام عند العرب، وكانت بداية عبادة الأصنام في الأرض قد وقعت في قوم نوح عليه السلام، فكانوا يغلون في الصالحين منهم كود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فلما ماتوا وسوس لهم الشيطان وتدرّج بهم حتى عبدوهم، ثم انتقلت هذه العبادات الشركية إلى العرب بعد ذلك. فصار (ود) لقبيلة كلب، و (سواع) لقبيلة هذيل، و(يغوث) لقبيلة غطيف، و(يعوق) لقبيلة همدان، و(نسر) لقبيلة آل ذي الكلاع.

قال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام عن ابن جُريج قال: قال عطاء عن ابن عباس: «صارت الأوثان التي كان في قوم نوح في العرب بعدُ. أما وَدّ فكانت لكلب بدُومَة الجَنْدل. وأما سُواع فكانت لهذيل. وأما يَغُوث فكانت لمراد، ثم لبنى غُطَيف بالجُرْف عند سبأ. وأما يعوق فكانت لهمْدان. وأما نَسْر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع...»(١٧).

وقال ابن جرير: «وكان من خبرهم – فيما بلغنا –: ما حدثنا به ابن حُميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس: أن يَغوثَ ويعَوق ونَسرا كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوقَ لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون؛ دَبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما

---

(١٧) أخرجه البخاري، في كتاب التفسير في تفسير سورة نوح (٨/ ٦٦٧) رقم (٤٩٢٠).

كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر، فعبدوهم»[١٨]، ثم أورد ابن جرير أثر عكْرمة أنه قال: «كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون، كلهم على الإسلام»، وأورد ابن جرير أثراً عن قتادة في هذه الآية أنه قال: «كانت آلهةً يعبدها قوم نوح، ثم عبدتها العرب بعد ذلك، فكان وَدٌّ لكَلْب بِدَوْمَة الجَنْدَل، وكان سُواع لهُذَيل. وكان يَغوث لبَني غُطَيف من مرُاد بالجرف، وكان يَعوق لـهَمْدَان. وكان نَسر لذي الكُلاع من حـمْير... وعن ابن عباس قال: «هذه أصنام كانت تُعبد في زمان نوح»[١٩].

قال ابن جرير: ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ [نوح: ٢٤]، يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح: وقد ضل بعبادة هذه الأصنام التي أحدثت على صور هؤلاء النفر المسمين في هذا الموضع كثيرٌ من الناس فُنسب الضلال إذ ضلَّ بها عابدوها إلى أنها الـمُضِلّة»[٢٠].

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: قال: (وما كان لأهل كل دارٍ من مكة صنَمٌ يعبُدونه، فإذا أراد أحُدهم السَّفَرَ كان آخر ما يصَنعُ في منزله أن يتمسح به، وإذا قَدِمَ من سفره كان أوّلَ ما يصنعُ إذا دخلَ منزله أن يتمسَّحَ به أيضاً، فلما بعث الله نبيه وأتاهم بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له قالوا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] يعنون الأصنام)[٢١].

وكذا قال محمد بن إسحاق في السيرة[٢٢].

---

(١٨) تفسير ابن جرير (٢٩/ ٩٩).

(١٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٩/ ٩٩)، وقد أورد الفاكهي في كتابه أخبار مكة بعض هذه الآثـار (٥/ ١٦١- ١٦٥).

(٢٠) تفسير ابن جرير (٢٩/ ١٠٠).

(٢١) كتاب الأصنام للكلبي، ص (٤٨-٤٩).

(٢٢) السيرة لابن هشام (١/ ٨٣).

وأما عبادة الحجارة فأصلها مما سبق ذكره من التعلق بالحرم ثم الغلو في آثاره: قال الكلبي: «واستُهْتِرتِ العربُ في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتاً، ومنهم من اتخذ صنماً، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيتٍ نصبَ حجراً أمامَ الحَرم وأمامَ غيره مما استحسَن، ثم طاف به كطوافه بالبيت، وسموْها الأنصاب. وإذا كانت تماثيل دَعَوْها الأصنام والأوثان، وسَمَّوا طوافهم الدوار، فكان الرجل إذا سافر فنزلَ منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً، وجعل ثلاثَ أثافيَّ لقِدْرِه وإذا ارتحل تركه، وإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك.

فكانوا ينْحَرُون ويذبَحون عند كلها، ويتقربون إليها، وهم عارفون بفضل الكعبة عليها، يَحُجُّونها ويعتمرون إليها.

وكان الذي يفعلون ذلك في أسفارهم إنما هو للاقتداء منهم بما يفعلون عندها ولصبَابَة بها...)[٢٣].

(وكانت للعرب حجارةٌ غير منصوبة يطوفون بها ويَعْتِرون[٢٤] عندها يُسَمُّونَها الأنصابَ، ويُسَمُّونَ الطَّوَافَ حولها الدَّوارَ)[٢٥].

وذكر ابن إسحاق في السيرة نحواً من ذلك[٢٦].

ثانياً: عبادة الملائكة والجن:

كانت شرذمة من العرب يعبدون الملائكة، وشرذمة أخرى منهم تعبد الجن، وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾

---

(٢٣) كتاب الأصنام، للكلبي، ص ٤٨-٤٩.

(٢٤) في القاموس المحيط مادة (عتر) ص (٥٥٩)، العَتْرُ: الذبح، وبالكسر: الصنم يُعْتر له وكل ما ذبح، وشادةٌ كانوا يذبحونها لآلهتهم كالعشيرة.

(٢٥) كتاب الأصنام للكلبي، ص ٥٥.

(٢٦) السيرة لابن هشام، (١/ ٧٧)، وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم، (٢/ ٢٢٢).

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ سبأ: [٤٠ - ٤١].

قال السعدي في تفسير هذه الآية: « ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أيّ العابدين لغير الله والمعبودين من دونه من الملائكة: ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ أيّ الله ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ على وجه التوبيخ لمن عبدهم ﴿أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾؟ فتبرؤوا من عبادتهم ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أيّ تنزيها لك وتقديساً أن يكون لك شريك أو ندّ ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ فنحن مفتقرون إلى ولايتك ومضطرون إليها فكيف ندعوا غيرنا إلى عبادتنا؟ أم كيف نصلح لأن نتخذ من دونك أولياء وشركاء؟ ولكن هؤلاء المشركون ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أيّ الشياطين يأمرون بعبادتنا أو عبادة غيرنا فيطيعونهم بذلك»[٢٧].

وكان أهل الجاهلية إذا نزلوا منزلاً بوادٍ مخيف في أسفارهم استعاذوا بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه من الجن، وقد حكى الله ذلك عنهم فقال: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] كبراً وعتواً، أو غياً وضلالاً.

وقال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء النفر: وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن في أسفارهم إذا نزلوا منازلهم...»[٢٨].

وقال السعدي في تفسير هذه الآية: «أي: كان الإنس يعبدون الجن ويستعيذون بهم عند المخاوف والأفزاع، فزاد الإنس الجن رهقاً، أي: طغياناً وتكبراً لما رأوا الإنس يعبدونهم ويستعيذون بهم، ويحتمل أن الضمير في زادوهم يرجع إلى الجن ضمير الواو أي: زاد الجن الإنس ذعراً وتخويفاً لما رأوهم يستعيذون بهم، ليلجئوهم إلى الاستعاذة

---

(٢٧) تفسير السعدي ص٦٥٠، وانظر تفسير ابن جرير (٢٢/ ١٠٢).

(٢٨) تفسير ابن جرير (٢٩/ ١٠٨-١٠٩).

بهم، فكان الإنسي إذا نزل بواد مخوف قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه»[٢٩].

ثالثاً: عبادة الكواكب والشمس والقمر:

وكانت طائفة من العرب يعبدون الكواكب، وهم شرذمة من بني تميم عبدوا (الدبران) من النجوم، وبعض قبائل لخم وخزاعة وقريش عبدوا (الشعرى: العَبور) التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩]، وأول من سنّ لهم ذلك أبو كبشة[٣٠]. وبعض طيء عبدوا «الثريا»، وجاء في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب، وأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب»[٣١].

وصنف من العرب عبدوا الشمس، وزعم عبادها أنها ملك من الملائكة لها نفس وعقل وهي أصل نور القمر والكواكب وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها، وهي عندهم ملك الفلك، فتستحق التعظيم والسجود والدعاء، ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتخذوا لها صنماً، بيده جوهرة على لون النار، وله بيت خاص قد بنوه باسمه وجعلوا له الوقوف الكثيرة وله سدنة، فكان منهم من يأتي ذلك البيت ويصلي فيه، ويأتيه أصحاب العاهات، فيصومون لذلك الصنم، ويدعونه ويتشفعون به، وإذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها كما يسجدون له، ومن أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن تحري الصلاة في هذه الأوقات قطعاً لمشابهة الكفار، وسداً لذريعة الشرك وعبادة الأصنام[٣٢].

وطائفة أخرى عبدت القمر، وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة، وإليه تدبير هذا

---

(٢٩) تفسير السعدي ص٨٥٢.

(٣٠) تفسير الألوسي (٢٠/ ٣٢)، وانظر: العقائد السلفية: بأدلتها العقلية والنقلية (٢/ ١٧).

(٣١) أخرجه البخاري في كتاب صفة الصلاة باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم رقم (٨٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، رقم (٧١).

(٣٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٢٢٣).

العالم السفلي، ومن شريعة عباداتهم أنهم اتخذوا له صنماً على شكل عجل وبيد الصنم جوهرة يعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياماً معدودة من كل شهر ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور(٣٣).

رابعاً: عبادة النار:

وكانت شرذمة من العرب من أهل البحرين وغيرهم كانوا يعبدون النار تأثراً بالفرس من المجوس وكان منهم من يحلف بها وربما استمطروا بها(٣٤).

خامساً: عبادة الشجر: وذلك مثل ما وقع لبعضهم من عبادة العزّى، وهي ثلاث سمرات محاطة بجدار قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، وعبدوا ذات الأنواط، كما في حديث أبي واقد الليثي وفيه: «وللمشركين سورة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط...»(٣٥)، وهي شجرة من الطلح قد علقوا عليها أسلحتهم وكانوا يعكفون عندها ويرجون بركتها وغير ذلك.

سادساً: من العرب من كان على دين اليهود والنصارى:

فقد كان بعض قبائل العرب على دين اليهود في بلاد اليمن، وكان الغساسنة في الشام على دين النصرانية، وكانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة، وكأنهم تلقوا ذلك من الروم، وكان العرب يكثرون التردد إلى بلادهم للتجارة، ومن العرب الذين اعتنقوا دين النصرانية بنو تغلب، كما أن أهل نجران كانوا من نصارى العرب. ومن المعلوم أن دين اليهود والنصارى قد دخله ما دخله من الشرك والابتداع(٣٦).

(٣٣) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٢٢٤)، وانظر: العقائد السلفية: (٢/ ١٦)،وكتاب الحالة الدينية عند العرب قبل الإسلام، دراسة مقارنة بقلم محمد حامد الناصر، وخولة درويش.

(٣٤) الحالة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام، ص ٧٨- ٧٩.

(٣٥) أخرجه الترمذي أبواب الفتن باب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، (٢١٨٠١٧)، وأحمد في المسند (٥/ ٢١٨).

(٣٦) العقائد السلفية: ١٦-١٧، وكتاب الحالة الدينية عند العرب ص (٦١-٧١)، وينظر كتاب جزيرة العرب مصير أرض وأمة قبل الإسلام، تأليف محمد ولد داداه، ص (٢٢٠-٢٣٠).

المبحث الثاني:

دلالات الآيات القرآنية في بيان معنى إيمان المشركين وشركهم في الآية

وتحته سبعة مطالب:

المطلب الأول: المشركون يؤمنون ويقرون بأن الله هو الخالق المدبر الرازق المحيي المميت.

المطلب الثاني: المشركون يدعون الله في الشدة ويشركون به في الرخاء.

المطلب الثالث: المشركون يؤمنون ويقرون بأن الله هو منزل المطر ومحيي الأرض بعد موتها.

المطلب الرابع: المشركون يؤمنون ويقرون بأن الله هو رب العالمين ومع ذلك يتخذون الأنداد.

المطلب الخامس: المشركون يتقربون إلى الآلهة ويعبدونها لكي تشفع لهم عند الله.

المطلب السادس: المشركون في الأمم السابقة لم يردوا على أنبياءهم ورسلهم بعدم الاعتراف بالربوبية.

المطلب السابع: المشركون يحتجون بقضاء الله وقدره على شركهم وأفعالهم القبيحة.

المبحث الأول: دلالات الآيات القرآنية في بيان معنى إيمان المشركين وشركهم

تنوعت الآيات القرآنية في بيان أن المشركين يصدقون ويؤمنون بأن الله هو ربهم وخالقهم ومالكهم ورازقهم ومدبرهم وهو المحيي المميت الذي ينزل المطر ويحيي به الأرض، ومع ذلك يصرفون العبادة لغيره وإليك بيان ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: المشركون يؤمنون ويقرون بأن الله هو الخالق المدبر الرازق المحيي المميت:

المشركون يؤمنون بأن الله هو الخالق المدبر ويشركون به، قال الله تعالى لهؤلاء الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً محتجاً عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية على ما أنكروه من توحيد الألوهية، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس: ٣١].

قال الإمام البغوي في تفسيره: «﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ هو الذي يفعل هذه الأشياء ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أفلا تخافون عقابه في شرككم. وقيل: أفلا تتقون الشرك مع هذا الإقرار، ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]، أي: فأين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به»[٣٧].

وفي سورة المؤمنون: يقول الله للمشركين المكذبين بالبعث العادلين بالله غيره محتجاً عليهم بما أثبتوه وأقروا به من توحيد الربوبية وانفراد الله بها على ما أنكروه من توحيد الألوهية والعبادة، وبما أثبتوه من خلق المخلوقات العظيمة على ما أنكروه من إعادة الموتى، قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ

(٣٧) انظر: تفسير البغوي (٤/ ١٣٢).

لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩].

قال ابن جرير الطبري:

(يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق إن كنتم تعلمون مَنْ مالكها؟

ثم أعلمه أنهم سيقرّون بأنها لله ملكاً، دون سائر الأشياء غيره ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك: أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقاً سويّاً بعد فنائهم) (٣٨).

وقال ابن كثير – رحمه الله –:

«ولهذا قال لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين له بالربوبية وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره معه، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئاً ولا يملكون شيئاً ولا يستبدون بشيء، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، فقال: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾، أي فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أنه لا تنبغي إلا للخالق الرازق لا غيره، ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٩] أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك) (٣٩).

---

(٣٨) تفسير ابن جرير (١٨/ ٤٧)، وانظر: تفسير السعدي (ص ٥٥٧).

(٣٩) تفسير ابن كثير سورة المؤمنون (٥/ ٤٨٢).

المطلب الثاني: المشركون يدعون الله في الشدة ويشركون به في الرخاء

بين الله تعالى بطلان الشرك، وتناقض المشركين بما يقع منهم في حال الشدة من إخلاص الدعاء لله تعالى وإخلاص الدين له عند ركوبهم البحر وتلاطم أمواجه واشتداد الكرب عليهم وخوفهم الهلاك، وحينئذٍ يتركون دعاء الأنداد والشركاء، ثم إذا نجاهم الله تعالى ورجعوا إلى البر عادوا إلى الشرك وعبادة الأنداد، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وهذا يدل على علمهم بأن آلهتهم لا تغني عنهم من الله شيئاً: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣] ولكنهم قوم جاحدون لنعمة الله مستكبرون عن الانقياد لشرعه.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «يخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له، فلما زالت عنهم الشدة ونجاهم من أخلصوا له الدعاء إلى البر، أشركوا به من لا نجّاهم من شدة ولا أزال عنهم مشقة، فهلا أخلصوا لله الدعاء في حال الرخاء والشدة، واليسر والعسر، ليكونوا مؤمنين به حقاً، مستحقين ثوابه، مندفعاً عنهم عقابه.

ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم بالنجاة من البحر، ليكون عاقبته كفر ما آتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة، وليكملوا تمتعهم في الدنيا الذي هو كتمتع الأنعام، ليس لهم همّ إلا بطونهم وفروجهم»[٤٠].

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ

(٤٠) تفسير السعدي ص ٦٣٥.

ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان: ٣٢].

وغير ذلك من الآيات، وهي براهين قاطعة على إقرارهم بالربوبية ومعرفتهم بالله، ولكن هذه المعرفة والإقرار نقضوه بالشرك في عبادة الله تعالى.

المطلب الثالث: المشركون يؤمنون ويقرون بأن الله هو منزل المطر ومحيي الأرض بعد موتها

قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

فهذا مما يستدل به على المشركين المكذبين بتوحيد العبادة ويلزمهم الإقرار بالألوهية، كما أثبتوا توحيد الربوبية، فلو سألتهم من خلق السماوات والأرض ومن نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها ومن بيده تدبير جميع الأشياء ليقولن الله وحده ولاعترفوا بعجز الأوثان[٤١].

وقال ابن جرير الطبري:

«يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والأرض فسواهن، وسخَّر الشمس والقمر لعباده، يجريان دائبين لمصالح خلق الله؟ ليقولنّ الذي خلق ذلك وفعَلَه: الله ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١]، يقول جلّ ثناؤه: فأنّى يُصْرفون عمن صنع ذلك، فيعدلون عن إخلاص العبادة له»[٤٢].

وقال البغوي: «﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ينكرون التوحيد مع إقرارهم أنه الخالق لهذه الأشياء»[٤٣].

وقال ابن الجوزي: «﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ يعني كفار مكة، وكانوا يقرون بأنه الخالق والرازق، وإنما أمره أن يقول ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على إقرارهم؛ لأن ذلك يلزمهم الحجة، فيوجب عليهم تأكد ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ توحيد الله مع إقرارهم بأنه

---

(٤١) انظر: تفسير السعدي ص ٦٣٥.

(٤٢) تفسير ابن جرير (٢١/ ١١).

(٤٣) تفسير البغوي (٦/ ٢٥٥).

الخالق، والمراد بالأكثر: الجميع»[٤٤].

وقال القرطبي: «﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾أي فإذا أقررتم بذلك فلم تشركون به، وتنكرون الإعادة؟»[٤٥].

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى مقرراً أنه لا إله إلا هو، لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده، ومقدر آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم، فإذا كان الأمر كذلك فلم يُعْبد غيره؟ ولم يُتوكَّل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه؛ فليكن الواحد في عبادته. وكثيراً ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية، وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك»[٤٦].

(٤٤) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٦/ ٢٨٣).

(٤٥) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٦١).

(٤٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٦).

المطلب الرابع: المشركون يؤمنون ويقرون بأن الله هو رب العالمين ومع ذلك يتخذون الأنداد

ذكر الله تعالى عن المشركين أنهم يسوّون بين رب العالمين والآلهة المخلوقة في العبادة والمحبة والخوف والرجاء. ثم يوم القيامة يتبين لهم حينئذ ضلالهم. قال تعالى عنهم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «وأقرّوا بعدل الله في عقوبتهم، وأنها في محلها وهم لم يسووهم برب العالمين إلا في العبادة، لا في الخلق؛ بدليل قولهم ﴿بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إنهم مقرّون أن الله رب العالمين كلهم، الذي من جملتهم أصنامهم وأوثانهم»[٤٧]، فالله خلق السماوات والأرض وهذا يدل على كمال قدرة الله وسعة علمه وانفراده بالخلق وتدبيره، فهو المستحق وحده للعبادة وإخلاص الدين، ومع هذا فالمشركون يسوون بينه وبين خلقه، «قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١]، أيّ: يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة والتعظيم مع أنهم لم يساووا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه»[٤٨].

بل عند التأمل في وصف الله تعالى لهم بـ (المشركين)، و(الذين أشركوا)، و(يشركون) ونحو ذلك يدل على أنهم يؤمنون بالله، ولكنهم يشركون معه غيره، إذ هذا هو معنى الشرك.

---

(٤٧) تفسير السعدي ص ٥٩٣.

(٤٨) تفسير السعدي ص ٢٥٠.

المطلب الخامس: المشركون يتقربون إلى الآلهة ويعبدونها لكي تشفع لهم عند الله

أمر الله تعالى بالتوحيد والإخلاص، ونهى عن الشرك، وذم المشركين في دعواهم أنهم عبدوا الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر: ٣].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «أيَّ لترفع حوائجنا لله وتشفع لنا عنده، وإلاّ فنحن نعلم أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تملك من الأمر شيئاً، أيّ: فهؤلاء قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجرؤوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء وشفعاء ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم ويستعطفونهم عليهم، ويمدون لهم الأمر في ذلك؛ أن الله تعالى كذلك، وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق مع ثبوت الفرق العظيم عقلاً ونقلاً وفطرة، فإن الملوك إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم، لأنهم لا يعلمون أحوالهم فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاج من يُعطّفهم عليه ويسترحمهم له، ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم فيقضون حوائج من توسطوا لهم مراعاة لهم، ومداراة لخواطرهم وهم أيضاً فقراء، وقد يمنعون لما يخشون من الفقر، وأما الرب تعالى فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده وهو تعالى أرحم الراحمين، وأجود الأجودين لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحماً لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم.

وهو الغني الذي له الغنى التام المطلق الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلاً منهم ما سأل وتمنى، لم ينقصوا غناه شيئاً، ولم

ينقصوا مما عنده إلاّ كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط. وجميع الشفعاء يخافونه فلا يشفع منهم أحد إلاّ بإذنه، وله الشفاعة كلها، فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفههم العظيم، وشدة جراءتهم عليه ويعلم أيضاً الحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى، لأنه يتضمن القدح في الله تعالى»(٤٩).

وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ [يونس: ١٨ - ١٩].

قال ابن كثير رحمه الله: «ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ظانين أن تلك الآهلة تنفهم شفاعتها عند الله فأخبر تعالى أنها: لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئاً، ولا يقع شيء مما يزعمون فهيا، ولا يكون هذا أبداً ولهذا قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد، وهو الإسلام قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعُبدت الأصنام والأنداد والأوثان، فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال: ٤٢]»(٥٠).

---

(٤٩) تفسير السعدي ص ٧١٨.

(٥٠) تفسير ابن كثير (٤/١٩٣).

المطلب السادس:

المشركون في الأمم السابقة لم يردوا على أنبيائهم ورسلهم بعدم الاعتراف بالربوبية

إن في قصص الأنبياء التي قصها الله عز وجل في القرآن ودعوتهم أقوامهم إلى توحيد الألوهية دليلاً على إقرار أولئك المدعوين بالربوبية؛ ولذلك لم يرد المشركون على الرسل بأنهم لا يعرفون الله، ولا يعترفون بربوبيته، بل ردُّوا عليهم بأنهم لا يريدون إخلاص العبادة له، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف: ٦٥ - ٧٢].

وكذلك بقية الرسل لما دعوا قومهم إلى التوحيد ردوا على رسلهم فقالوا: ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [هود: ٦٢]، وقالوا: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ [هود: ٨٧]، وقال الكفار لرسول الله محمد ﷺ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص: ٥ - ٧] «أي: كيف ينهى عن اتخاذ الشركاء والأنداد، ويأمر بإخلاص العبادة لله وحده»[٥١].

وكذلك المشركون من قوم صالح يؤمنون بربوبية الله ويقرون بوجوده بل يقسمون بالله، مع ذلك هم يشركون به، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [النمل: ٤٩].

---

(٥١) تفسير السعدي ص ٧١٠.

فكان في المدينة التي فيها النبي صالح عليه السلام تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وقد استعدوا لمعاداة نبي الله صالح عليه السلام والطعن في دينه، فلم يزل بهم هذا الحال حتى إنهم من عداوتهم الشنيعة تقاسموا فيما بينهم كل واحد أقسم للآخر لنأتينهم ليلاً هو وأهله فلنقتلنهم ثم لنقولن لوليه إذا قام علينا ننكر قتله، ونحلف إنا لصادقون(٥٢).

وكذلك فعل قوم هود قبل ذلك، فقد قالوا متعجبين من دعوة نبي الله هود عليه السلام إلى إخلاص التوحيد لله وترك الآلهة التي يعبدونها من دون الله ومخبرين له أنه من المحال أن يطيعوه، قال تعالى: ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف: ٧٠].

---

(٥٢) انظر: تفسير السعدي ص ٦٠٦.

المطلب السابع: المشركون يحتجون بقضاء الله وقدره على شركهم وأفعالهم القبيحة

المشركون يفعلون الذنوب والفواحش والقبائح ويدّعون أن الله أمرهم بها، قال تعالى في بيان قبح حال المشركين: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [الأعراف: ٢٨].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير الآية: «يقول تعالى مبيناً لقبح حال المشركين الذين يفعلون الذنوب، وينسبون أن الله أمرهم بها: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾، وهي كل ما يستفحش ويستقبح، ومن ذلك طوافهم بالبيت عراة: ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا ﴾ وصدقوا في هذا: ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [الأعراف: ٢٨] وكذبوا في هذا، ولهذا رد الله عليهم هذه النسبة فقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [الأعراف: ٢٨]، أي: لا يليق بكماله وحكمته، أن يأمر عباده بتعاطي الفواحش، لا هذا الذي يفعله المشركون ولا غيره: ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨]، وأيُّ افتراء أعظم من هذا»[(٥٣)].

بل احتج المشركون على شركهم بمشيئة الله، وأن الله لو شاء ما أشركوا، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٣٥].

«وهذه حجة باطلة، فإنها لو كانت حقاً، ما عاقب الله الذين من قبلهم، حيث أشركوا به فعاقبهم أشد العقاب، فلو كان يحب ذلك منهم لما عذبهم، وليس قصدهم بذلك إلا رد الحق الذي جاءت به الرسل، وإلا فعندهم علم أنه لا حجة لهم على الله، فإن الله أمرهم ونهاهم ومكنهم من القيام بما كلفهم وجعل لهم قوة ومشيئة

(٥٣) تفسير السعدي ص٢٨٦.

تصدر عنها أفعالهم، فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل»(٥٤).

والمقصود بيان اعتقادهم بربوبية الله لأن إثباتهم لمشيئته دليلٌ على إقرارهم بالربوبية.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

ففي هذه الآيات الدليل الصريح الواضح على إثباتهم مشيئة الله عز وجل وفي هذا الإقرار بالربوبية.

---

(٥٤) تفسير السعدي ص٤٤٠.

المبحث الثالث:

دلالات الأحاديث في بيان حال المشركين وإقرارهم بالربوبية

وأما من السنة فقد جاءت الأحاديث موضحة أحوالهم ومشتملة على بيان إقرارهم بالربوبية إجمالاً وأن شركهم كان في توحيد الألوهية، والأدلة على هذا كثيرة جداً، ومنها:

١-حديث حصين الخزاعي: أن الرسول ﷺ قال له: «كم إلهاً تعبد؟ قال سبعة، ستة في الأرض وواحداً في السماء، قال: من تعد لرغبتك ورهبتك، قال الذي في السماء...»[٥٥].

٢-قصة عمرو بن لحي الخزاعي: وقد سبق ذكرها[٥٦].

٣-تلبية المشركين وحجهم قبل الإسلام، في الصحاح والسنن والمسانيد وهو مشهور متواتر، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس: كان المشركون يقولون وهم يطوفون بالبيت: لبيك لا شريك لك، فيقول الرسول ﷺ ويلكم قدْ قدْ، فيقولون إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»[٥٧].

٤-قصة صلح الحديبية وفيها «أما الرحمن الرحيم فلا نعرفه، ولكن اكتب باسمك اللهم»[٥٨] فدل على أنهم مؤمنون بالله.

ودل على أنهم يستعينون به في أمورهم.

وإنما أنكروا تسميته بالرحمن، والظاهر أن ذلك عناد منهم ومكابرة.

---

(٥٥) رواه الترمذي (٥/ ٥١٩، رقم ٣٤٨٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٢٩).

(٥٦) انظر: ما تقدم ص (٦-١٠).

(٥٧) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب التلبية، رقم (٢٨٧٢).

(٥٨) صحيح البخاري كتاب باب الشروط ، رقم (٢٥٨١) وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية رقم (٤٧٣٢).

٥-حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقر هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة: ٣١]، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرّم الله فتحلونه» فقلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»[٥٩].

٦-وعن حكيم بن حزام أنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيت أموراً كنت أتحنّث بها في الجاهلية، هل لي فيها من شيء، فقال له رسول الله ﷺ: «أسلمت على ما أسلفت من خير» والتحنث: التعبد.

وفي رواية: (أرأيت أموراً كنت أتحنّث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم)[٦٠].

٧-وعن الشريد بن سويد الثقفي أنه قال: ردفت رسول الله ﷺ يوماً فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شئياً»، قلت: نعم، قال: «هِيْهِ»، فأنشدته بيتاً فقال: «هيه»، ثم أنشدته بيتاً فقال: «هيه»، حتى أنشدته مائة بيت، وفي رواية أنه قال ﷺ: «إن كاد ليسلم»[٦١].

٨-وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد: ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل، وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»[٦٢].

---

(٥٩) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة التوبة (رقم (٣٠٩٥)، وابن جرير في تفسيره (١٠/ ٨٠).

(٦٠) صحيح مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده، رقم (١٢٣).

(٦١) أخرجه مسلم في كتاب الشعر (٢٢٥٥).

(٦٢) أخرجه مسلم في كتاب الشعر (٢٢٥٦)، وانظر: أخبار أمية بن أبي الصلت في البداية والنهاية (٢/ ٢٤٠ - ٢٥٠).

مطلب في ذكر أخبار وأشعار في الجاهلية تدل على إقرارهم بالربوبية :

قد جاءت كتب السيرة النبوية بذكر أخبار المشركين وقصصهم وشعرهم ونثرهم وخطبهم.

ومن ذلك خطب قسّ بن ساعدة ؛ ومنها قوله في إحدى تلك الخطب: «يا أيها الناس: اجتمعوا واستمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات: فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لا تغور [وفي رواية] ليل داج، وسماء ذات أبراج، وبحر عجاج، نجوم تزهر، وجبال مرسية وأنها مجرية، وأقسم قِسٌ قسماً حقاً، لئن كان في الأمر رضى ليكون بعده سخط إن لله لديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا».

وأنشد:

لما رأيت موارداً ... للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأصاغر والأكابر

لا مَنْ مضي يأتي إليك ... ولا من الباقين غابر

أيقنت أني لا محالة ... حيث صار القوم صائر[(٦٣)]

وقال النابغة الذبياني:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ[(٦٤)]

وقال حاتم الطائي:

---

(٦٣) انظر أخباره وخطبه في البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٢٥٠ - ٢٥٨).

(٦٤) ديوان النابغة ص٦ .

كلوا الآن من رزق الإله وأيسروا ... فإن على الرحمن رزقكم غدا(٦٥)

وقال أيضاً:

ولكنما يُبْغَى به الله وحده ... فأعط فقد أربحت في البيعة الكسبا(٦٦)

وقال أيضاً:

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ... ويحيى العظام البيض وهي رميم(٦٧)

وقال أيضاً:

سقى اللهُ ربُّ الناس سحًّا ودِيْمةً ... جنوب السراة من مآبٍ إلى زُعَرْ(٦٨)

وقال عنترة بن شداد:

يا عبل أين من المنية مهربي ... إن كان ربي في السماء قضاها(٦٩)

وقول لبيد بن ربيعة:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائلُ

أرى الناسَ لا يدرون ما قَدْرُ أمرِهم ... بلى كلُّ ذي رأي إلى الله واسلُ(٧٠)

ويقول لبيد أيضاً:

إن تقوى ربنا خير نَفَل ... وبإذن الله ريثي وعجل

أحمدُ اللهَ فلا ند له ... بيديه الخير فما شاء فعل(٧١)

(٦٥) ديوان حاتم ص ١٧ .

(٦٦)ديوان حاتم ص ٥ .

(٦٧)ديوان حاتم ص ٦٠ .

(٦٨)ديوان حاتم ص ٣٢ .

(٦٩) ديوان عنترة ص٢٢٥ .

(٧٠) خزانة الأدب للبغدادي (١/ ٢٤٣) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ٥٤) .

(٧١) جمهرة أشعار العرب ص١٧ ، الأغاني (١٥/ ٣٦١).

ويقول لبيد أيضاً:

فاقنع بما قسم المليك فإنما قسمَ الخلائقَ بيننا علاّمُها[٧٢]

وشعر زيد بن عمرو بن نُفيل، وقد كان على التوحيد وفارق قومه[٧٣].

وفي سيرة ابن هشام أنه لما قدم أبرهة ليهدم الكعبة قام عبد المطلب ومعه نفر من قريش فأخذ بحلقة باب الكعبة وجعلوا يدعون الله ويستنصرونه وقال عبد المطلب:

اللهم إنّ العبدَ يمنعُ رَحْله فامنع حِلالك
لا يغلبنَّ صليبهَم ومحالهم غَدْواً مِحالك[٧٤]

وقال كلمته المشهورة: «أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه».

ولهم في ذلك قصائد مشهورة مبثوثة في كتب السير.

وقال نُفَيل بن حبيب: لما انتقم الله من أبرهة وجنده:

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب[٧٥]

وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب:

فلولا دفاع الله لا شيء غيره لأصبحتمو لا تمنعون لكم سرباً[٧٦]

وقال رجل لما جاء بإبله إلى صنم اسمه (سعد) طلباً للبركة فنفرت إبله:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

(٧٢) جمهرة أشعار العرب ص ١٣٧ .

(٧٣) انظر: السيرة لابن هشام (١/ ٢٢٦).

(٧٤) السيرة لابن هشام (١/ ٥١).

(٧٥) السيرة لابن هشام (١/ ٥٣)

(٧٦) السيرة لابن هشام(١/ ٥٩)

وما سعد إلا صخرة في تَنُوفةٍ من الأرض لا تدعو لغيٍّ ولا رُشْدِ[٧٧]

وأخذ حجراً ورماه. وقال: لا بارك الله فيك[٧٨].

وذكر ابن هشام خطبة وفد تميم على الرسول ﷺ قبل أن يسلموا وأولها: (الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن، وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف. وجعلنا أعزّ أهل المشرق، وأكثره عدداً وأيسره عدة) إلى آخر الخطبة[٧٩].

وأما قول بعض المتأخرين المنافحين عن الشرك:

«إن المشركين كانوا يقولون ذلك من باب الكذب والنفاق وهروباً من الحجة وأن قلوبهم تأبى ذلك وتنكره»[٨٠]، فهذا قول باطل ومخالف لواقع المشركين، وتنقضه الأدلة السابقة.

ثم إن الله سبحانه وتعالى لما ذكر جوابهم واعترافهم بالربوبية لم يُكذّبهم في دعواهم، ولو كانوا كاذبين أخبر بكذبهم، كما أخبر تعالى بكذب المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

(٧٧) السيرة لابن هشام (١٨١/)

(٧٨) السيرة لابن هشام (١/ ٨١)، والروض الأنف (١/ ١٦٨).

(٧٩) انظر: الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام، ص ٩٥- ١٠٥.

(٨٠) قال ذلك عدد من المجادلين عن الشرك مثل (محمد علوي مالكي في كتابه مفاهيم يجب أن تصحح ص ٢٦، وعيسى الحميري، كما في كتابه تصحيح المفاهيم العقدية في الصفات الإلهية ص ٢٨٧.

ومن العجب أن يذكر قوله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، ثم يقول ص٢٨٩: «نزلت في المشركين بالله ربوبية وألوهية وإن اعترفوا بوجود الخالق للسماوات والأرض»، وهذا إقرار منه بصدق اعترافهم بوجود الخالق وهذا هو الإقرار بالربوبية وهذا من التناقض، والله المستعان.

وكما في قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٤].

ثم إن هذا تكرر منهم في مواضع كثيرة متفرقة، ولا يمكن أن يحكي عنهم الكذب الذي يكذبون دون أن يبينه.

وقد تقدم من كلام الله جل وعلا ومن كلام النبي ﷺ ومن كلام أهل العلم وأئمة المفسرين ما يبطل هذه الشبهة.

المبحث الرابع:

ذكر كلام المفسرين وأهل العلم في بيان معنى إيمان المشركين وشركهم في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[يوسف: ١٠٦].

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تقريرات علماء الصحابة والتابعين في المراد بإيمان المشركين وشركهم في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾.

المطلب الثاني: تقريرات علماء التفسير بالمأثور في المراد بإيمان المشركين وشركهم في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾.

المبحث الرابع:

ذكر كلام المفسرين وأهل العلم لمعنى إيمان المشركين وشركهم في ضوء قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

المشركون من العرب يؤمنون بأن الله هو خالقهم ورازقهم، ومع ذلك يشركون معه آلهة أخرى، بما اتخذوه من الشفعاء وما عبدوا من الأصنام، لذلك يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فيوحدونه بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملك الآلهة بيده وهذا من تناقضهم وجهلهم، يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ أي: ما يوحدونني لمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكاً من خلقي[٨١].

ومن خلال ما سبق يتضح أنه الآية الكريمة تفيد أنه قد يجتمع في العبد الإيمان بربوبية الله والتصديق بها مع الشرك المخرج من الملة، وهذا الإيمان لا ينفع وحده، فهؤلاء المشركون قد تركوا ما أمر الله به من إخلاص العبادة والتوحيد وتجرؤوا على أعظم المحرمات وهو الشرك، فنقضوا إيمانهم بالربوبية بما قاموا به من صرف العبادة لغيره، هذا ما قرره علماء التفسير من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإليك نبذة من أقوالهم وهي في المطلبين التاليين:

(٨١) كتاب الأصنام، للكلبي ص ٥٤ .

المطلب الأول: تقريرات علماء الصحابة والتابعين في المراد بإيمان المشركين وشركهم في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾

أولاً: جاء عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ ﴾ الآية. قال: «من إيمانهم إذا قيل لهم: مَنْ خلق السماء؟ ومَنْ خلق الأرض؟ ومَنْ خلق الجبالَ؟ قالوا: الله، وهم مشركون»(٨٢).

وجاء عنه أيضاً في قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ «يعني النصارى، يقول: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥]. ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]. ولئن سألتهم: من يرزقكم من السماء والأرض؟ ليقولنَّ: الله. وهم مع ذلك يشركون به، ويَعبدون غيرَه، ويَسْجُدُون للأنداد دونه»(٨٣).

---

(٨٢) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٧٧) و ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٢٢٠٧ (١٢٠٣٤).

(٨٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٧٨).

ثانياً: قرر علماء التابعين وأتباعهم في تفسير هذه الآية أن إيمان المشركين أن الله هو الخالق الرازق، ومع ذلك هم مشركون في عبادته، وإليك بعض أقوالهم:

أولاً: قول عكرمة في قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ ﴾ قال: «تسألهم من خلقهم، ومن خلق السماوت والأرض؟ فيقولون: الله. فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره»(٨٤).

وقال: «يعلمون أنه ربهم، وأنه خلقهم، وهم مشركون به»(٨٥).

وقال: «هو قول الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥]. فإذا سئلوا عن الله وعن صفته، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولداً، وأشركوا به».

وقال: «ليس أحدٌ إلا وهو يعلم أن الله خلقه، وخلق السماوات والأرض، فهذا إيمانهم، ويكفرون بما سوى ذلك»(٨٦).

ثانياً: قول مجاهد: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ «فإيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره».

وقال: «يقولون: الله ربنا، وهو يرزقنا. وهم يشركون به بعدُ»(٨٧).

وقال: «ليس أحدٌ إلا وهو يعلم أن الله خلقه، وخلق السماوات والأرض، فهذا

---

(٨٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٧٧).

(٨٥) المرجع السابق نفس الموضع.

(٨٦)المرجع السابق نفس الموضع.

(٨٧)المرجع السابق (١٣/ ٧٨) وأخرجه ابن أبي حاتم أيضاً في التفسير (٧/ ٢٢٠٧).

إيمانهم، ويكفرون بما سوى ذلك»(٨٨).

ثالثاً: قال قتادة في تفسير الآية: «في إيمانهم أنك لا تسأل أحداً منهم إلا أنبأك أن الله ربه؛ وهو في ذلك مشركٌ في عبادته»(٨٩).

وقال: «لا تسألُ أحداً من المشركين: من ربك؟ إلا قال: ربيَ الله. وهو يُشرِكُ في ذلك»(٩٠).

رابعاً: قال عطاء في تفسير هذه الآية: «يعلمون أن الله ربهم، وهم يشركون به بعدُ».

وقال: «يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم، وهم يُشركون به»(٩١).

خامساً: قال عامر «يعلمون أنه ربهم، وأنه خلقهم، وهم مشركون به»(٩٢).

سادساً: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية: «ليس أحدٌ يَعبُدُ مع الله غيرَه إلا وهو مؤمنٌ بالله، ويعرفُ أن الله ربه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يُشركُ به، ألا ترَى كيف قال إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء: ٧٥ – ٧٧]. قد عرَف أنهم يَعبُدُونَ ربَّ العالمين مع ما يَعْبُدُون. قال: فليس أحدٌ يُشرِكُ به إلا وهو مؤمنٌ به، ألا ترى كيف كانت العربُ تُلبِّي تقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك؟ المشركون كانوا يقولون هذا»(٩٣).

---

(٨٨) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٧٨).

(٨٩)أخرجه ابن جرير (١٣/ ٧٨).

(٩٠) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٤)، وابن جرير (١٣/ ٧٨).

(٩١) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٧٨).

(٩٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٧٨).

(٩٣) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٢٢٠٨ (١٢٠٣٨).

سابعاً: قال النضر بن عربي: قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، قال فمِنْ إيمانهم أن يُقال لهم: من ربكم؟ فيقولون: الله، ومن يدبر السموات والأرض؟ فيقولون: الله، ومن يرسل عليهم المطر؟ فيقولون: الله، ومن ينبت الأرض؟ فيقولون: الله، ثم هم بعد ذلك مشركون، فيقولون: إن لله ولداً، ويقولون: ثالث ثلاثة[٩٤].

(٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠٨/٧)، رقم (١٢٠٣٧).

المطلب الثاني: تقريرات علماء التفسير بالمأثور في المراد بإيمان المشركين وشركهم في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾

١ - قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: وما يُقِرُّ أكثرُ هؤلاء - الذين وصَف عزَّ وجلَّ صفتَهم بقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥]- بالله أنه خالقُه وزارقُه وخالقُ كلِّ شيء، إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثانَ والأصنامَ، واتِّخاذِهم من دونه أرباباً، وزعمهم أن له ولداً، تعالى الله عما يقولون»(٩٥).

٢ - قال ابن أبي زمنين - رحمه الله -: « ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ قال: «في إيمانهم أنك لا تسأل أحداً منهم إلا أنبأك أن الله ربه؛ وهو في ذلك مشركٌ في عبادته»(٩٦).

٣ - وقال القرطبي - رحمه الله -: «قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ نزلت في قوم أقروا بالله خالقهم وخالق الأشياء كلها، وهم يعبدون الأوثان؛ قاله الحسن، ومجاهد وعامر الشعبي وأكثر المفسرين. وقال عكرمة هو قوله: ثم يصفونه بغير صفته ويجعلون له أنداداً؛ وعن الحسن أيضاً: أنهم أهل كتاب معهم شرك وإيمان، آمنوا بالله وكفروا بمحمد ﷺ؛ فلا يصح إيمانهم؛ حكاه ابن الأنباري.

وقال ابن عباس: نزلت في تلبية مشركي العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وعنه أيضاً أنهم النصارى. وعنه أيضاً أنهم المشبهة، آمنوا مجملاً وأشركوا مفصلاً. وقيل: نزلت في المنافقين؛ المعنى ﴿ وَمَا

(٩٥) تفسير ابن جرير الطبري، (١٣/ ٧٧ - ٧٩).

(٩٦) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زَمَنِين: (٢/ ٣٤١).

يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ ﴾ أي باللسان إلا وهو كافر بقلبه؛ ذكره الماوردي عن الحسن أيضاً. وقال عطاء: هذا في الدعاء؛ وذلك أن الكفار ينسون ربهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء؛ بيانه: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ ﴾[يونس: ٢٢] الآية. وقوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾[يونس: ١٢] الآية. وفي آية أخرى: ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾[فصلت: ٥١]. وقيل: معناها أنهم يدعون الله ينجيهم من الهلكة، فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل علينا اللص، ونحو هذا؛ فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان، ووقايته منسوبة إلى الكلب.

قلت: وقد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام المسلمين؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وقيل: نزلت هذه الآية في قصة الدخان؛ وذلك أن أهل مكة لما غشيهم الدخان في سني القحط قالوا: ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ [الدخان: ١٢] فذلك إيمانهم، وشركهم عودهم إلى الكفر بعد كشف العذاب؛ بيانه قوله: ﴿ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان: ١٥] والعود لا يكون إلا بعد ابتداء؛ فيكون معنى ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ أي إلا وهم عائدون إلى الشرك، والله أعلم»[٩٧]، فقدم القرطبي القول المعروف عن السلف في إقرارهم بالربوبية وشركهم في العبادة.

٤ - قال جلال الدين المحلي رحمه الله في تفسير الجلالين: «﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ ﴾حيث يقرون بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ به بعبادة الأصنام؛ ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما

---

(٩٧) تفسير القرطبي (٥/ ١٧٨-١٧٩).

ملك»(٩٨).

٥ - قال الشوكاني رحمه الله: «﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ ﴾[يوسف: ١٠٦] أي وما يصدّق ويقرّ أكثر الناس بالله من كونه الخالق الرازق الخالق لهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥)﴾ [لقمان: ٢٥]، لكنهم كانوا يثبتون له شركاء فيعبدونهم ليقرّبوهم إلى الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ ﴾[الزمر: ٣]، ومثل هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله المعتقدون في الأموات بأنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه كما يفعله كثير من عباد القبور»(٩٩).

٦ - قال الألوسي - رحمه الله - في تفسير الآية: «﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ ﴾ في إقرارهم بوجوده تعالى وخالقيته ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ به سبحانه، والجملة في موضع الحال من الأكثر أي ما يؤمن أكثرهم إلا في حال إشراكهم»(١٠٠).

ثم قال: «وقد يقال نظراً إلى مفهوم الآية إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقيته مثلاً، وكان مرتكباً ما يُعَدّ شركاً كيفما كان، ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها، المعتقدون للنفع والضر ممن الله تعالى أعلم بحاله فيها وهم اليوم أكثر من الدود»(١٠١).

٧ - قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «﴿وَكَأَيِّن ﴾أي: وكم ﴿مِّن

---

(٩٨) تفسير الجلالين ص ٢١٢.

(٩٩) فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٥٩).

(١٠٠) روح المعاني (١٣/ ٨٤).

(١٠١) روح المعاني (١٣/ ٨٤ - ٨٥).

ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ دالة لهم على توحيد الله ﴿ وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥]. ومع هذا إن وجد منهم بعض الإيمان فلا ﴿يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، فإنهم يشركون في ألوهية الله وتوحيده، فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه الحال لم يبق عليهم إلا أن يحل بهم العذاب، ويفجأهم العقاب وهم آمنون»[١٠٢].

٨ - قال القاسمي: «﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم ﴾ أي: الناس، أو أهل مكة، ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ أي في إقرارهم بوجوده وخالقيته ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ أي: بعبادتهم لغيره، وباتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً، وبقولهم باتخاذه تعالى ولداً. سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً»[١٠٣]...

ثم قال - رحمه الله -: «وبما ذُكر يُعْلَمُ أن لفظ الآية يتناول كل ما يصدق عليه مسمى الإيمان مع وجود مسمى الشرك، فأهل الشرك الأكبر ما يؤمن أكثرهم بأن الله هو الخالق إلا وهو مشرك به، بما يتخذه من الشفعاء، وما يعبده من الأصنام. وكذا أهل الشرك الأصغر من المسلمين، كالرياء مثلاً ما يؤمن أحدهم بالله إلا وهو مشرك به، بذلك الشرك الخفيّ. وعلى هذا، فالشرك يجامع الإيمان، فإن الموصوف بهما مما تقدم، مؤمن فيما آمن به، ومشرك فيما أشرك به، والتسمية في الشريعة لله عز وجل ولرسوله، فلهما أن يوقعا أي اسم شاءا على أي مسمى شاءا. فكما أن الإيمان في اللغة التصديق، ثم أوقعه الله عز وجل في الشريعة على جميع الطاعات، واجتناب المعاصي، إذا قُصد بكل ذلك، من عمل أو تركٍ، وجهُ الله تعالى، كذلك الشرك نُقِلَ عَنْ شِرْكِ شيء مع آخر مطلقاً، إلى الشرك في عبادته

(١٠٢) تفسير السعدي، ص ٤٠٦.

(١٠٣) تفسير القاسمي المسمى: محاسن التأويل (٩/ ٣٦٠٤-٣٦٠٨).

تعالى، وفي خصائص ربوبيته»[١٠٤].

٩- وقال الإمام الشنقيطي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾ [يونس: ٣١]: «صرح الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الكفار يقرون بأنه جل وعلا هو ربهم الرازق المدبر للأمور المتصرف في ملكه بما يشاء.

وهو صريح في اعترافهم بربوبيته، ومع هذا أشركوا به جل وعلا.

والآيات الدالة على أن المشركين مقرون بربوبيته جل وعلا - ولم ينفعهم ذلك لإشراكهم معه في حقوقه جل وعلا - كثيرة كقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧].. إلى غير ذلك من الآيات، ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

والآيات المذكورة صريحة في أن الاعتراف بربوبيته جل وعلا لا يكفي في الدخول في دين الإسلام إلا بتحقيق معنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً، وقد أوضحناه في سورة الفاتحة في الكلام على قوله تعالى: (إياك نعبد).

وأما تجاهل فرعون لعنه الله - لربوبيته جل وعلا في قوله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣]، فإنه تجاهلُ عارفٍ، لأنه عبد مربوب، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقوله: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٤]»[١٠٥].

ومن خلال ما سبق نصل إلى النتيجة أنه قد يجتمع في العبد إيمان ناقص

---

(١٠٤) المرجع السابق، (٩/٣٦٠٨).

(١٠٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/٤٢٩ - ٤٣٠).

وشرك، لكن هذا الإيمان بالربوبية وحده لا ينفع بل لا بد من الإيمان بالربوبية والألوهية وإفراد الله بالعبادة ولهذا صار وجود الشرك ينقض الإيمان والتصديق.

المبحث الخامس:

تقريرات أئمة الإسلام والسنة في بيان إقرار المشركين بالربوبية وشركهم في الألوهية

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تقريرات علماء السنة على أن توحيد الاعتقاد (الربوبية) قد أقر به المشركون.

المطلب الثاني: تقريرات علماء السنة في بيان خطأ المتكلمين في هذه المسألة وأسباب خفاء ذلك عليهم.

المبحث الخامس:

تقريرات أئمة الإسلام والسنة في إقرار المشركين بالربوبية وشركهم في الألوهية.

المطلب الأول: تقريرات علماء السنة على أن توحيد الاعتقاد (الربوبية) قد أقر به المشركون

صرح أئمة الإسلام بأن المشركين من كفار قريش وغيرهم كانوا يقرون بالربوبية إجمالاً وأنهم مع ذلك كفار، لكونهم عبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه في الألوهية آلهة أخرى وإليك نماذج من كلامهم:

أولاً: قال الإمام أبو عبد الله ابن بطة العكبري رحمه الله في الإبانة: «... وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده.

ولأن نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه

الثلاث، والإيمان بها»[١٠٦].

ثانياً: وقال الشيخ أبو محمد ابن عبد البصري أحد علماء المالكية في كتابه أصول السنة والتوحيد: «وقد أخبر عن الكفار أنهم يعرفونه مع ردهم على رسله. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال [سبحانه]: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] مع آيات كثيرة، وذلك موجود منهم ضرورة، وهم في الجاهلية يعرفونه ولا ينكرونه، ويقولون: إلهنا القديم والعتيق، وإله الآلهة، ورب الأرباب، وغير ذلك، مع كفرهم.

فدل [ذلك] على أن تلك ضرورة ألزموها، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، يعني: معرفة ربوبيته.

وقد جاء في الأثر: يقول الله تعالى: «خلقت خلقي حنفاء مقرّين» يعني عرفاء عرفوه بوحدانيته، وأقروا له بمعرفة ربوبيته، وإنما جحدوا معرفة التوحيد الذي تعبَّدهم بها على ألسنة السفراء، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقول صاحب الشرع: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، لم يقل: حتى يقولوا: إن لهم ربّاً، إذ هم عارفون بذلك. وإنما أمرتهم الرسل أن يصلوا معرفة التوحيد بمعرفة الربوبية والوحدانية فأبوا، وقَبِل ذلك الموحدون، فقال في حال المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]، وقال

---

(١٠٦) الإبانة (المخطوط، ص ٦٩٣-٦٩٤)، وقد نقلت نص كلامه بواسطة كتاب القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، د. عبد الرزاق البدر، ص ٢٩.

في حال الكفار: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة: ٢٧]...

ثم قال: «فهذه المعرفة ضرورة للعارف موجود فيه، كوجود ضرورة المقعد وقعوده موجود فيه، فهو سبحانه المعروف الذي لا ينكره شيء، والمعلوم الذي لا يجهله شيء، فمن كانت معه معرفتان فهو كافر، وبالمعرفة الثالثة يصح الإيمان، وهو الفصل الثالث: وهي معرفة التوحيد التي دعت الرسل إليها، وبعثوا بها، وكُلفنا قبولها، وهي قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وهو قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وأخبرنا أنه ما كان معذِّباً قبل بعثتهم، فكانوا يعرفون أن لهم ربّاً وإلهاً، ولكنهم ينكرون توحيد الإله وبعث رسله وشرائع دينه، وبه وقع منهم الكفر.

فوجود ذلك منهم يزيل عنهم معرفة التوحيد، ولا يزيل ضرورتهم، وهذه المعرفة وجبت بالتوقيف، وهي ما وقفتنا الرسل عليه، ودلنا عليه سبحانه، ووفَّقنا لذلك، وبها يجب الخلود في الجنة، وبعدمها يجب الخلود في النار»(١٠٧).

وقال أيضاً: «ألا ترى أنه لم يقع من الكفار التعجب والإنكار من أنه سبحانه رب وإله؟ وإنما تعجبت وأنكرت التوحيد بالإلهية فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]»(١٠٨).

ثالثاً: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ): «بل المشركون الذين سمَّاهم الله ورسوله مشركين، وأخبرت الرسل أن الله لا يغفر لهم، كانوا مقرِّين

---

(١٠٧) أصول السنة والتوحيد، للشيخ أبو محمد ابن عبد البصري، وهو كتاب مفقود وقد نقلت نص عبارته بواسطة كتاب درء تعارض العقل والنقل: (٨/ ٥٠٩- ٥١٢)، وقد وصفه ابن تيمية بأن طريقته طريقة أبي الحسن ابن سالم، وأبي طالب المكي وأمثالهما من المتسبين إلى السنة والمعرفة والتصوف واتباع السلف وأئمة السنة والحديث .

(١٠٨) المرجع السابق.

بأن الله خالق كل شيء.

فهذا أصل عظيم يجب على كل أحد أن يعرفه، فإنه به يُعرف التوحيد، الذي هو رأس الدين وأصله»[١٠٩].

وقال أيضاً: «ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بُعث إليهم محمد ﷺ أولاً - لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرّون بأن الله خالق كل شيء، حتى إنهم كانوا مقرين بالقدر أيضاً، وهم مع هذا مشركون»[١١٠].

رابعاً: قال تقي الدين أحمد بن علي المقريزي الشافعي (ت ٨٤٥هـ): «ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقرُّوا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السماوات والأرض، والقائمُ بمصالح العالم كلّه، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة، كما قد حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة: ١٦٥]، فلما سوَّوا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين كما قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[الأنعام: ١]. وقد علَّمَ الله سبحانه وتعالى عباده كيفيَّة مُبايَنَةِ الشرك في توحيد الإلهية، وأنه تعالى حقيق بإفراده وليّاً وحَكَماً وربّاً، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾[الأنعام: ١١٤]، وقال: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

فلا وليَّ ولا حَكَمَ ولا ربَّ إلا الله الذي من عَدَل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ولو وحَّد ربوبيَّتَهُ.

---

(١٠٩) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٧٨).

(١١٠) رسالة التدمرية ص ١٨٠.

فتوحيدُ الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهيَّة مفرَقُ الطرق بينَ المؤمنينَ والمُشركينَ، ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلا الله، ولو قال: لا رب إلا الله لما أجزأه عند المحقّقينَ. فتوحيد الألوهية هو المطلوبُ من العباد»(١١١).

المطلب الثاني: تقريرات علماء السنة في بيان خطأ المتكلمين في هذه المسألة، وأسباب خفاء ذلك عليهم:

لقد اقتصر أهل الكلام على تقرير توحيد الربوبية، وأهملوا التوحيد العملي توحيد العبادة توحيد الألوهية، وخطأهم في تفسير التوحيد بالربوبية فقط له ارتباط بتفسيرهم لحقيقة الإيمان ومسماه، فأخرجوا توحيد الألوهية عن مسمّى الإيمان الشرعي، ومسمّى التوحيد، ونبه على هذا جماعة من أهل العلم، وإليك نماذج من كلامهم:

١ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وبهذا وغيره يُعْرف ما وقع من الغلط في مسمى «التوحيد» فإن عامة المتكلمين الذين يقرّرون التوحيد في كتب الكلام والنظر - غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد»(١١٢).

وقال أيضاً تعليقاً على مسمى التوحيد عند المتكلمين: «فقد تبين أن ما يسمونه (توحيداً) فيه ما هو حق وفيه ما هو باطل، ولو كان جميعه حقاً فإن المشركين إذا

---

(١١١) تجريد التوحيد المفيد، ص ٢٠ - ٢١ ، وانظر كتاب الشفاء للقاضي عياض في بيان ذكره لأنواع المقالات الكفرية، (٢/ ٢٨٢) وتفريقه بين من نفى الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله ...إلخ .

(١١٢) رسالة التدمرية ١٧٩.

أقروا بذلك لم يخرجوا فيه من الشرك الذي وصفهم الله به في القرآن، وقاتلهم عليه الرسول ﷺ، بل لا بد أن يعترفوا بأنه لا إله إلا الله وليس المراد بالإله: هو القادر على الاختراع، كما ظنه مَنْ ظنّه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقرّ بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أنه لا إله إله هو، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون، كما تقدم بيانه، بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يُعْبد فهو إله بمعنى مألوه، لا [إله] بمعنى [آلِهْ]، والتوحيد: أن يُعْبدَ اللهُ وحده لا شريك له، والإشراك أن يجعل مع الله إلهاً آخر»[١١٣].

٢ - وقال ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - في شرح الطحاوية في ذكر أنواع التوحيد: «وأما الثاني وهو توحيد الربوبية كالإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم...»، ثم ذكر أن أهل الكلام تعبوا في تقرير توحيد الربوبية وظنوا أنه هو التوحيد الذي بينه القرآن، ثم قال: «وليس الأمر كذلك، بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب: هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية...»[١١٤].

٣ - وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «والقرآن من أوله إلى آخره في بيان توحيد العبادة وهو أظهر شيء في القرآن وأبينه، وقد أشرت إلى سبب خفاء هذا التوحيد على كثير من المتكلمين ومن سلك سبيلهم فلهذا لم ينكروا الشرك الذي وقع في هذه الأمة من عبادة الأشجار والأحجار والطواغيت والجن فصار

(١١٣) التدمرية، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(١١٤) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٥ - ٢٩.

هذا الشرك لهم عادة نشأ عليها الصغير وهرم عليها الكبير وهذا هو سبب إنكارهم على من نهاهم عنه، فمن تدبر ما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»[١١٥] تبين له خطأ المغرورين في إنكارهم على من دعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له واشمئزازهم من ذلك»[١١٦].

ونتيجة خفاء توحيد العبادة على المتكلمين لم ينكروا الشرك الذي وقع في الأمة، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في كتاب قرة عيون الموحدين: «وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الأمة في هذا الشرك الذي هو أعظم المحرمات، كما وقع فيه أهل الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ، عبدوا القبور والمشاهد والأشجار والأحجار والطواغيت والجن كما عبد أولئك اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الأصنام والأوثان، واتخذوا هذا الشرك ديناً، ونفروا إذا دعوا إلى التوحيد أشد نفرة، واشتد غضبهم لمعبوداتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦]، علموا أن لا إله إلا الله تنفي الشرك الذي وقعوا فيه، وأنكروا التوحيد الذي دلت عليه. فصار هؤلاء المشركون أعلم بمعنى هذه الكلمة «لا إله إلا الله» من أكثر متأخري هذه الأمة، لا سيما أهل العلم منهم الذين لهم دراية في بعض الأحكام وعلم الكلام، فجهلوا توحيد العبادة، فوقعوا في الشرك المنافي له وزينوه، وجهلوا توحيد الأسماء والصفات وأنكروه، فوقعوا في نفيه

---

(١١٥) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، رقم (٧٣٢٠)، ومسلم في كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم (٢٦٦٩).

(١١٦) مجموع رسائل الشيخ عبد الرحمن بن حسن، ٢/ ٧٧.

أيضاً، وصنفوا فيه الكتب لاعتقادهم أن ذلك حق وهو باطل، وقد اشتدت غربة الإسلام حتى عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فنشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير...

فلهذا عمَّ الجهل بالتوحيد الذي هو أصل دين الإسلام فإن أصله أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد إلا ما شرع، وقد ترك هذا وصارت عبادة الأكثرين مشوبة بالشرك والبدع، ولكن الله تعالى وله الحمد لم يخل الأرض من قائم له بحججه، وداعٍ إليه على بصيرة، لكيلا تبطل حجج الله وبيناته التي أنزلها على أنبيائه ورسله، فله الحمد والشكر على ذلك»[١١٧].

والذي يظهر أن أسباب خفاء توحيد الألوهية عند كثير من المتكلمين الأوائل وخفاءه على جُلِّ المتأخرين منهم ما يلي:

١ - اعتقادهم أن أول واجب هو المعرفة، وانشغلوا في تحديد أول واجب هل هو النظر أم القصد إلى النظر أم الشك، والمعرفة المطلوبة قصروها على الربوبية، وهذا من أكبر أغلاطهم، ولهذا لم يروا أن توحيد الألوهية هو أول واجب ولم يقرروا معناه على الوجه الصحيح.

٢ - خطأهم في تفسير معنى الإله حيث ظنوا أن معناه يتعلق بالربوبية فقط ولهذا فسروه بالقادر على الاختراع أو الغني عما سواه المفتقر إليه ما عداه، وترتب على هذا: الخطأ في معنى كلمة التوحيد وبيان حقيقة ما دلت عليه من إبطال الشرك بالله والتعلق بغيره، ووجوب إفراده بالعبادة.

٣ - أن كثيراً من المتأخرين اشتغلوا بدراسة مسائل الفقه وأصوله أو اشتغلوا بدراسة الحديث أو التفسير أو مقدمات العلوم، أو علوم الآلة، دون التفطن لأصل الدين وأساسه، فتجد أحدهم بارعاً في الفقه متميزاً فيه أو غيره من العلوم ولكن لا تجد عنده كبير علم في أمور التوحيد أو تمييز أنواع الشرك التي ذكرها الله عز وجل أو

(١١٧) قرة عيون الموحدين ص١٢.

ذكرها رسوله ﷺ.

٤ - فقدان العلم الصحيح الصافي الموروث عن رسول الله ﷺ وأصحابه والسلف الصالح رحمهم الله والانشغال عنه بتقريرات المتأخرين، وابتلاء أواخر هذه الآمة بعلماء سوء وأصحاب شبه وضلالات مما زاد في الانحراف والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث السادس: عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة

إن في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، دلالة على أن الأكثر من الناس يضلون عن الحق، وهذا مطابق لما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأن الكثرة هم أهل الضلال والكفر وأن القلة هم أهل الحق والإيمان، وأن الكثرة من الناس إذا قالوا أو فعلوا شيئاً فلا يدل ذلك على أنه هو الحق، فالاحتجاج بذلك وحده ضرب من ضروب الباطل، وهو من صفات المشركين، ومن أمور الجاهلية، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في بيان مسائل الجاهلية: «الخامسة: أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر، ويحتجون به على صحة الشيء، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله، فأتاهم بضد ذلك وأوضحه في غير موضع من القرآن»[١١٨].

وهذه بعض الأدلة من القرآن على هذا الأمر العظيم:

١ - أكثر أهل الأرض يضلون عن سبيل الله قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الصافات: ٧١]. وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

٢ - أكثر الناس لا يؤمنون:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الرعد: ١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

٣ - أكثر الناس كفروا بالحق وكرهوه:

(١١٨) مسائل الجاهلية، ضمن مجموع رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (١/ ٣٣٧).

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٠]. وقال جلا وعلا: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٨].

٤ - أكثر الناس لا يشكرون:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٨]. وقال جلا وعلا في سورة الشعراء بعد ذكر قصص الأنبياء بعد قصة كل نبي: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٨ - ٩].

وقال تعالى في بيان قلة أهل الإيمان في مقابل أهل الكفر: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]، ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠]، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣].

وحكى الله تعالى قول إبليس: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧]، وقال في سورة الإسراء: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٢].

وهذا من إبليس قول على سبيل الظن، وقال الله تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠].

٥ - الكثير من الناس غفلوا عن آيات الله وكفروا بلقائه: قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [الروم: ٨].

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ في هذا المعنى فهي كثيرة، ومنها:

١-الحديث المشهور عن النبي ﷺ في بيان وقوع الافتراق في هذه الأمة: وفيه «فإن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قال من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»(١١٩).

٢ – حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا: قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»(١٢٠).

قال ابن رجب رحمه الله: «وقوله ﷺ: «فمن يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ». هذا إخبار منه ﷺ بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه، وفي الأقوال والأعمال والاعتقادات، وهذا موافقٌ لما روي

---

(١١٩) أخرجه الترمذي في الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٦/٥). وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٨٥)، والحاكم في مستدركه (١٢٨/١)، وأصل الحديث جاء عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، منهم معاوية، وأبو هريرة، وأنس، رضي الله عنهم. وانظر: تخريج الإحياء للعراقي (١٩٩/٣)، تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (١/ ٤٤٧)، والسلسلة الصحيحة للألباني (١/ ٣٥٨) رقم (٢٠٤).

(١٢٠) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، ورواه أيضاً أحمد ١٢٦/٤-١٢٧، والدارمي ١/ ٤٤، وابن ماجه (٤٣) و (٤٤).

عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة، وأنها كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهي من كان على ما هو عليه وأصحابه، وكذلك في هذا الحديث: أَمَرَ عند الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والسنة: هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله»(١٢١).

٣ – عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ في قُبَّة، فقال: «أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» قلنا: نعم. قال: «أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟» قلنا: نعم، قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداْ في جلد الثور الأحمر»(١٢٢).

٤ – وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ: «أول من يدعى يوم القيامة آدم فتراءى ذريته فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بَعْثَ جهنم من ذريتك، فيقول: يا رب، كم أُخرِجُ؟ فيقول: أخرج من كل مائةٍ تسعةً وتسعين» فقالوا: يا رسول الله، إذا أُخذ منَّا من كل مائة تسعة وتسعون، فماذا يبقى منا؟ قال: «إن أمتي في الأمم هم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود»(١٢٣).

٥ – وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مَثَلَكُمْ في الأمم كمَثَل الشعرة البيضاء

(١٢١) شرح جامع العلوم والحكم، ١٢٠.

(١٢٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الحشر: رقم (٦٥٢٨)، ومسلم في الإيمان، باب بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، رقم (٢٢١).

(١٢٣) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الحشر: رقم (٦٥٢٩).

في جلد الثور الأسود، أو كالرَّقمة في ذراع الحمار»[١٢٤].

وهذه الأحاديث الصحيحة تدل على قلة أهل الحق، وكثرة أهل الباطل.

٦ - وعن ابن عباس عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «عُرضَت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرَّهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد»[١٢٥].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعليقاً على هذا الحديث في المسائل: «الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة».

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في شرحه لكتاب التوحيد: «الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة.. إلخ: فإنَّ الكثرة قد تكون ضلالاً، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وأيضاً الكثرة من جهة أخرى إذا اغترَّ الإنسان بكثرته وظنَّ أنه لن يغلب أو أنه منصور؛ فهذا أيضاً سبب للخذلان؛ فالكثرة إن نظرنا إلى أن أكثر أهل الأرض ضلال لا تغتر بهم، فلا تقل: إنَّ الناس على هذا، كيف أنفرد عنهم؟ كذلك أيضاً لا تغترّ بالكثرة إذا كان معك أتباع كثيرون على الحق؛ فكلام المؤلف له وجهان:

الوجه الأول: أن لا نغترّ بكثرة الهالكين فنهلك معهم.

الوجه الثاني: أن لا نغتر بكثرة الناجين فيلحقنا الإعجاب بالنفس وعدم الزهد في القلة، أي أن لا نزهد بالقلة؛ فقد تكون القلة خيراً من الكثرة»[١٢٦].

---

(١٢٤) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الحشر: رقم (٦٥٣٠)، ومسلم في الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار.. رقم (٢٢٢).

(١٢٥) رواه البخاري، في الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً رقم (٦٥٤١) وفي مواضع أخرى، ومسلم في الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، رقم (٢٢٠).

(١٢٦) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (١/ ١١٠).

الخاتمة وفيها أهم النتائج

ومنها:

١-دلالة قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، على وصف المشركين: بالإيمان بالربوبية؛ مع وقوع الشرك في العبادة منهم.

٢-القاعدة العظيمة في أن الإيمان بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي في الدخول إلى الإسلام وأنه لا بد من الإيمان بالألوهية وإفراد الله بالعبادة.

٣-سلامة ما قرره أئمة الإسلام من أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أنواع توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

٤-اتفاق دلالات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتقريرات علماء الإسلام على أن المشركين كانوا يقرون بالربوبية، ولم ينفعهم ذلك.

٥-بيان غلط علماء أهل الكلام الذين خلطوا في هذا الأصل وظنوا أن الغاية هي تحقيق الربوبية فقط.

٦-أن الكثرة لا تدل على إصابة الحق، بل دلت النصوص على أن الأكثرية من أهل الأرض وقعوا في الضلال والانحراف.

٧-إبطال دعوى أن الشرك لا يقع في هذه الأمة فهذه الآية الكريمة فيها بيان ما وقع فيمن سبق وتحذير المخاطبين بألا يقعوا في مثل ذلك، فمن أقر بالربوبية وأشرك في الألوهية من المنتسبين إلى الإسلام فحاله حال أولئك المشركين الذين ذمهم الله تعالى في كتابه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان .

المراجع

١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري، ت/ رضا بن نعسان معطي، دار الراية، ط. الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢- الإبانة لابن بطة، (الكتاب الثاني) القدر، ت/ عثمان الأثيوبي، دار الراية ط. الأولى ١٤١٥هـ. والكتاب الثالث: الرد على الجهمية، ت/ يوسف الوابل، دار الراية - ط الأولى ١٤١٥هـ.

٣- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، المكتبة الثقافية ببيروت، ١٩٧٣م.

٤- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تصنيف محمد بن إسحاق الفاكهي ، دراسة وتحقيق د.عبد الملك الدهيش ، الطبعة الثالثة١٤١٩هـ ،دار خضر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان.

٥- الأسماء والصفات للبيهقي، ت/ عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٦- الأصنام هشام بن محمد بن السائب الكلبي ت ٢٠٤هـ ،تحقيق د.محمد عبد القادر أحمد ، أحمد محمد عبيد ، مكتبة النهضة المصرية.

٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، ت/ محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت.

٨- البداية والنهاية في التاريخ للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الشافعي ، ت٧٧٤هـ،تحقيق ومراجعة محمد النجار ، مطبعة الفجالة الجديدة .

٩- البدع والنهي عنها لابن وضاح، عني بطبعه وتصحيحه محمد أحمد دهمان، دار الأصفهاني بجدة.وطبعة أخرى ت/عمرو عبد المنعم سليم ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ط. الأولى ١٤١٦هـ

١٠- تجريد التوحيد المفيد، تأليف: أحمد بن علي المقريزي، ت/ على حسن علي عبد الحميد، دار عمار، الأردن، ط الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١١- تخريج أحاديث وآثار الكشاف للزمخشري للزيلعي، اعتنى به سلطان الطبيشي، دار ابن خزيمة، الرياض، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

١٢- التدمرية، لابن تيمية، ت/ محمد السعودي، ط الأولى ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

١٣- تفسير ابن أبي حاتم الرازي ، ت/أسعد الطيب ، مكتبة الباز مكة المكرمة ، ط. الأولى ١٤١٧هـ .

١٤- تفسير الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١هـ ، دراسة وتحقيق د.محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

١٥- تفسير القاسمي المسمى: محاسن التأويل ، تأليف محمد جمال الدين القاسمي ، دار إحياء الكتب العربية .

١٦- تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي زَمَنِين ت ٣٩٩هـ ، تحقيق حسين عكاشة ، محمد مصطفى الكنز ،الطبعة الأولى ،١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م ، الفاروق الحديثة للنشر .

١٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ت/ عدد من الباحثين، طبعة الشعب.

١٨- تفسير القرآن العظيم للإمامين الجليلين ، دار الدعوة ، اسطنبول ، تركيا.

١٩- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني، اعتنى بتصحيحه عبد الله هاشم اليماني، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٢٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي،اعتنى به عبد الرحمن اللويحق، مكتبة الرشد الرياض،الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٢هـ.

٢١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبى جعفر بن جرير الطبري، مطبعة البابي الحلبي، ط الثالثة.

٢٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب، ت/ شعيب الأرناؤط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٣- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٤- جزيرة العرب مصير أرض وأمة قبل الإسلام، تأليف محمد ولد داداه ، دار عالم الكتب ، الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢٥- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، دار صادر، بيروت .

٢٦- الحالة الدينية عند العرب قبل الإسلام، دراسة مقارنة بقلم محمد حامد الناصر، وخولة درويش، دار عالم الكتب، ط. الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، ط.الأولى ١٤١١هـ .

٢٨- ديوان زهير بن أبي سلمى ، ضمن رسائل مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية ، القسم الرابع ،شرح محمد بن إبراهيم الحضرمي ،ت/علي بن خلف الهروط ، جامعة مؤتة ،ط. الأولى .

٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق محمد أحمد الأحمد،عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ،الطبعة الأولى ١٤٢١هـ،٢٠٠٠م .

٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، جـ١-٢، المكتب الإسلامي، ط الرابعة، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، جـ٣ مكتبة

المعارف، ط الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، جـ٤ المكتبة الإسلامية مع مكتبة المعارف، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ، جـ٥ مكتبة المعارف، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣١- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، جـ١، المكتب الإسلامي، ط الخامسة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، جـ٢، المكتبة الإسلامية، عمان، ومكتبة المعارف بالرياض، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ، جـ٣، مكتبة المعارف، ط الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، جـ٤، مكتبة المعارف، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٢- سنن ابن ماجه، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة مصورة، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٣- سنن أبي داود، ت/ عزت الدعاس، دار الحديث، بيروت، ط الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٣٤- سنن الترمذي "الجامع الصحيح"، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر الجزء الأول والثاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الجزء الثالث، وإبراهيم عطوة الجزء الرابع والخامس، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣٥- سنن الدارمي، تحقيق فؤاد أحمد زمزلي، وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٦- السنن الكبرى للنسائي ، ت/عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط. الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٣٧- السنن الكبرى، للبيهقي، طبعة مصورة، دار المعرفة، بيروت.

٣٨- سنن النسائي، ومعه شرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به ورقمه عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٣٩- السيرة النبوية لابن هشام ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان .

٤٠- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ت/ التركي والأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤١- شرح صحيح مسلم للنووي، طبعة مصورة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٢- الشفاء للقاضي عياض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٤٣- صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان)، ترتيب ابن بلبان، ت/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤٤- صحيح ابن خزيمة، ت/ د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٤٥- صحيح مسلم ، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٤٦- صريح السنة، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت/ بدر بن يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤٧- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر ببيروت.

٤٨- العقائد السلفية، لأحمد بن حجر آل بو طامي البنعلي ،إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر،الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .

٤٩- الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ت/ محمد عطا، مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، (ست مجلدات).

٥٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة مصورة من الطبعة السلفية، دار الفكر.

٥١- فتح القدير، تأليف محمد بن علي الشوكاني ت١٢٥٠هـ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م .

٥٢- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٥٣- قرة عيون الموحدين ضمن مجموعة التوحيد ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ١٣٧٥هـ .

٥٤- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، د. عبد الرزاق البدر

٥٥- القول المفيد على كتاب التوحيد شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الثانية١٤٢٤هـ

٥٦- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة

٥٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب/ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، طبعة مصورة، مكتبة ابن تيمية.

٥٨- مجموعة التوحيد، المطبعة السلفية، ط ١٣٧٥هـ.

٥٩- مجموعة فتاوى ابن تيمية خمس مجلدات، طبعة مصورة، دار الفكر، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٠- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ،شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ت١٢٠٦هـنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٦١- مسائل الجاهلية، ضمن مجموع رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب

٦٢- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للذهبي، طبعة مصورة، دار المعرفة، بيروت.

٦٣- المسند، للإمام أحمد بن حنبل شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م، مصورة عنها، وطبعة أخرى لمسند الإمام أحمد بن حنبل، ومعها فهرس الألباني، دار الفكر للطباعة والنشر.وطبعة أخرى بتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط. الأولى ١٤١٣هـ .

٦٤- المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ، الدار السلفية ط. الأولى ١٣٩٩هـ ، وطبعة أخرى دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط. الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٦٥- المصنف، لعبد الرازق، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي، ط الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٦- معجم البلدان، تأليف ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٦٧- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٦٨- النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، ت/ محمد أحمد عبد العزيز، دار الحديث.